جريمة الشهامة

ربيت على مهد الشقاء يتيمةً ... من يوم افطمها عن الثدي الفنا
من يوم ما نظرت اباها جاثماً ... للموت في زمن به كتم الضنى
من يوم ما نظرت اخاها جاثياً ... قرب السرير ودمعه يبدي الاسى
فيجيبها لما تنادي والدي ... وتصيح من وَلَهٍ أوالدتي هنا ؟
يفعت وكللها الشباب بحلةٍ ... تزري باثواب الملوك ذوي العلا
عشقت فجلبها الغرام ببرده ... برد الطهارة والكرامة والبها
كانت تحن الى الحبيب وتشتكي ... وقر الهوى وتود لو قرب اللقا
وطوارق الحدثان تدفعها الى ... كتم التوله في التقرب والجفا
ما ابعد المحبوب كثرة ما لها ... او عظم مركزه كما يقضي الورى
لكن في الانسان اميال الهوى ... يقضى عليها ان تذل الى السوى
وحجارة الارماس اهون محملاً ... للمرء من حمل التغرض بالهوى
وفتاتنا كانت تحب فتىً من الـ ... غرباء عنها والاقارب تكتوى
قد رام اهلوها اغتصاب فؤادها ... ليزوجوها من نسيب قد صبا
فتمنعت بغرامها وتمنعت ... عن بيع ميثاق المودة والولا
ورأت بان تأوى المقابر عانساً ... من ان تقود بنفسها نحو الخنا
فمضت ليال والولاء اليفها ... وسميرها التذكار في ماض مضى
حجبت عن المحبوب لكن طيفه ... ما رد عن نظر الحبيبة في الكرى

دامت تدافع بالثبات كأنها ... من رحمة الرحمن ما قطعت رجا
. . . . . .
ها قد مضى عشرون يوماً بعدما ... شاهدتها تمشي الهوينى في الربى
والشمس جانحة تودع وجهها ... وبشعرها لعبت نسيمات الصبا
فتقدمت نحوي وقالت ما الذي ... قد جئت تطلب تائهاً في ذا المسا
فاجبتها قد جئت اطلب في الهوا ... ذكر الصبابة والتوله والهوى
فتبسمت بعد السلام واردفت ... اكرم بميلك للمودة يا فتى
هل ان حبك للجمال سلا الولا ... ام انت تذكر حادثاً لا ينسى
فاجبتها طوبى لكل موله ... مهما تعال في لعل وفي عسى
اذ انني احببت لا امل ولا ... ما يجعل المكلوم يصبر في النوى
قالت عجيب ما تقول فهل ترى ... تزداد عني بالمحبة والبلا
فسكت لكن لحظها قد سار في ... اعماق نفسي كاشفاً ستر الخفا
لا بدع في هذا فكل مبرح ... يهوى المبرح طالباً منه العزا
قرب الفراق فقدمت عن صدرها ... لي زهرة ذكراً لذاك الملتقى
وسرت تميل مع النسيم وتنثني ... كالغصن في روض تداعبه الصبا
وبقيت اتبعها بانظاري ولا ... ادري الذي يخفي لها ستر الفضا
. . . . . .
ساد الظلام وكنت اسري تائهاً ... بين المساكن كي اهيم مع الدجى
فسمعت نغمة صوتها في مجمع ... قد ضم غادات العشيرة والحمى
فوقفت ما بين الازاهر ناظراً ... زهر الشبيبة ناشراً عطر الهنا
ورأيت غادتنا كبدر طالع ... بين النجوم يسود آفاق الضحى

لكن فوق جبينها اثراً به ... طالعت آيات التأسف والجوى
فتحولت نحو الفتاة شواخصاً ... انظار كل امّ هذا المنتدى
ما مر من زمن التنافر مدة ... حتى سمعت الخود تجهش بالبكا
ودموعها لمعت كدر تحته ... حمر الخدود تزيد لمعته بها
وتحركت امواج نهديها كما ... في ثائر الامواج بحر قد طمى
ساد السكوت على الحضور فمنهم ... عذر الفتاة وآخر عذل النهى
وبقيت افكر في الحديقة آسفاً ... من كثرة الاميال في وادي البقا
اطرقت حيناً طالباً كشف الخفا ... عن هائل الاسرار في حب النسا
فرأيت فوق السر ستراً قائماً ... ما شفّ عن غير الضلالة بالهدى
ستر يظلل منذ سقطة آدم ... كل الهوى كل الجوى كل الجفا
ورفعت رأسي ناظراً ! ماذا ارى؟ ... في كف هاتيك الفتية خنجرا..
قد حولته فوق موضع قلبها ... فمضى يقطع بين نهديها الحشى
وتنهدت فكأنها قد اخرجت ... كل العذاب مع الحياة الى البلى
وكأنها شعرت بوقر غرامها ... في قلبها المضنى فعجلت الخطى
ورأت بان النصل اهون محملاً ... من حمل مبتذل الغرام المكترى
فهوت واصعدت الصراخ ولم تفه ... بسوى وداعك يا حبيب وياداني
هذا جرى كالبرق حتى انني ... قد خلت ذاك الموت حلماً ما جرى
فمضيت ما بين الرياض كأنني ... ارجو مناجاة الحقائق في الخلا
فرأيت كل الكون يرقد صامتاً ... وعوالم الافلاك تلمع في الفضا
وخفوق اجنحة النسيم مهوم ... يبكي على الاغصان ايام الصفا
يبكي على الازمان كالعين التي ... شخصت الى قلب الوجود فلا ترى

الا المصاعب والضلالة والشقا ... الا النوى الا البكا الا العنا
ووضعت كفي فوق صدري ذاهلا ... فسمعت صوت حفيف زهر قد ذوى
وشعرت في تلك الزهيرة لم تزل ... في عروتي منذ اللقا ذاك المسا
فتلألأت ما فوق خدي دمعة ... كانت لميتة الهوى كل الجزا
. . . . . .
يا من فدت حفظ الوداد بروحها ... هلا رضيت قضا الزمان كما اتى
هلا بقيت مع الانام خدوعة ... من ان تذوقي اليوم اشقى منقضي
هل خلت يا ذات الصيانة ان من ... يقضي فداء القلب يرحم بالقضا
هل خلت ان الناس يرحم قلبهم ... روحاً بعرفهم تصير الى البلى
كل على ذي الارض يلعن من مضى ... ولهاً وحين الموت حالاً ينتسى
من كان يرثي اليوم موتك باكياً ... من كان يحفظ ذكر ود قد مضى

فليكس فارس